محرقة غار الفراشيح بأولاد رياح من خلال المصادر الفرنسية.

د. بليل محمد*

تمهيد: لقد احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830، بعد معركة غير متكافئة بين القوات الفرنسية، وقوات الداي، التي استسلمت بسهولة للأمر الواقع في 5 جويلية؛ بعد توقيعها لاتفاقية غالب على مغلوب، ولم تحترم فرنسا مضمونها، فعمدت إلى احتلال المناطق الساحلية من قبل قادتها العسكريين، ديبومونت ثم كلوزيل فيجو، هذا الأخير الذي عين العديد من القادة العسكريين في الجهة الغربية للبلاد أو ما يعرف بالقطاع الوهراني أمثال ديمشيل ولاموريسار ولاباسي وبيلسي وبوسكي وغيرهم.

ولقد ترددت فرنسا كثيرا في احتلال بقية مناطق الجزائر من 1830 الى غاية 1934، حيث عرفت هذه المرحلة بعدم الاستقرار وانعدام وجود صيغ للبقاء في الجزائر[1]، وفي هذه الفترة ظهر في المنطقة الغربية بمعسكر الأمير عبد القادر، الذي تولى قيادة المقاومة الشعبية في أجزاء عديدة من الجزائر، حيث قاوم الاحتلال الفرنسي بدون وحدة وطنيه ولكن بقيادة موحدة في الغرب والوسط والجنوب[2]، رغم قلة إمكانياته إذا ما قورنت مع قوات الاحتلال.

لكن المعمرين من القادة العسكريين ضغطوا على القيادة السياسية بباريس على مواصلة الغزو وعدم الاكتفاء بالمناطق الساحلية، بل توسيع عمليات الغزو الاستعماري إلى بقية المناطق الأخرى من الجزائر بهدف تامين المناطق التي تم احتلالها، وتحالف هؤلاء العسكريين مع أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب النظريات الاستعمارية بانتهاج سياسة الاستيطان؛ واستقر رأي الحكومة الفرنسية على البقاء في الجزائر، حيث أصدر جهازها التشريعي عدة تشريعات لصالح البقاء في الجزائر من خلال أمرية 1834م التي اعتبرت فيها الجزائر مستعمرة فرنسية [3].

في هذه الظروف واصلت آلة الحرب الفرنسية مواجهة مقاومات الجزائريين المختلفة وانتهجت أساليب قمعية ضد السكان الرافضين لسيطرتها في مناطق العاصمة والبليدة والتطري

*-أستاذ محاضر ب في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم العلوم الإنسانية- جامعة تيارت.

وبلاد القبائل، واستطاعت بسهولة احتلال المناطق الساحلية من عنابة شرقا إلى مستغانم ووهران غربا بتآمر من بعض البايات السابقين للسلطة التركية بالجزائر التي فقدت سيطرتها على الجزائر، ولم تحاول جاهدة مساعدة بعض القادة البارزين الرافضين للسيطرة الاستعمارية أمثال الحاج احمد باي الذي لم يستسلم للفرنسيين رغم سقوط مدينة قسنطينة في أيدي القوات الفرنسية سنة 1837[4]. ولهذه الغاية سوف نتعرض في هذا الموضوع إلى التوسع الاستعماري بمنطقة الظهرة بالمنطقة الشرقية من دائرة مستغانم التابعة لمقاطعة وهران سابقا وولاية مستغانم حاليا وجرائم الجيش الفرنسي بهذه المنطقة والدروس والعبر المستخلصة من السياسة القمعية الفرنسية المسلطة على الجزائريين الرافضين للسيطرة الاستعمارية وسوف نعالج هذا الموضوع وفق العناصر الآتية:

1- التوسع الاستعماري الفرنسي في منطقة الظهرة

2- مقاومة الجزائريين للغزو الاستعماري في هذه المنطقة

3- محرقة غار الفراشيح والنتائج المترتبة عنها:

*حصيلة ثقيلة.

*أصداء هذه المحرقة على الصعيدين الخارجي والداخلي.

4- تأملات حول جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

5 – التوسع الاستعماري الفرنسي في منطقة الظهرة.

حسب الوثائق المخزنة بالمصلحة التاريخية للجيش البري الفرنسي بأرشيف وزارة الدفاع الفرنسية بفنسان الخاصة بأخبار والتقارير اليومية للعمليات العسكرية للجيش الافريقي بمنطقة مستغانم ومناطقها الشرقية بالظهرة وأيضا مناطق الونشريس وأورنيوفيل (الشلف حاليا)[5]، نجدها تبين لنا أخبار كتائب وفيالق الجيش الفرنسي التي تقوم بتتبع قادة المقاومة بالغرب الوهراني، خاصة الأمير عبد القادر وخلفائه بمعسكر والونشريس والظهرة في عهد الجنرال بيجو، مقدمة لنا أخبار دقيقة عن المناطق المستهدفة الواقعة بين منطقة "مينا" والشلف وشرشال والظهرة الواقعة في تراب دائرة مستغانم، هذه الأخيرة سبق أن سقطت بيد القوات الفرنسية بتاريخ 28 جويلية1833 من قبل دي ميشيل الذي وضع حمية عسكرية بها والتوسع نحو شرق المنطقة محاولا ضرب خلفاء الأمير عبد القادر[6] ـــ

وحسب هذه المصادر فإن المنطقة التي تمتد من قبائل بني زروال إلى منطقة الونشريس كانت بيد خلفاء الأمير عبد القادر، مما جعل القادة الفرنسيين بقيادة بيجو يتحركون للقضاء على هذه القبائل وإجبارها للخضوع للسيطرة الفرنسية.

ولهذا الغرض كلف الجنرال "لاموريسيار قائد المنطقة الغربية بتحريك كتائبه المشكلة من الجنود والضباط والخيول والبغال نحو هذه المناطق، وتصف لنا الإخبارية الحالة النفسية لهذا الجيش بمقاطعة مستغانم من تاريخ 01 جوان إلى غاية 14 جوان 1845 بمركز الكراميس، حيث كانت تحت قيادة أحد القادة العسكريين الجنرال "بورجولي Bourjoly، حيث نزل عند أولاد بوسليمان بوادي "بزغري"؛ وتمثلت مهمته في نزع سلاح قبائل الكراشيش الشراقة ولغرابة[7]، وكان يساعده العقيد يوسف الذي كلفه كلوزيل الحاكم العام سابقا بمهام عسكرية ومنحه المواطنة الفرنسية وارتقى تدريجيا إلى مراتب عليا في الجيش الإفريقي، رغم اعتراض مجلس النواب الفرنسي على ذلك [8].

وكانت هذه الاحداث مقرونة بما يقوم به المارشال بيجو، الذي أصبح حاكما عاما عند عودته للجزائر للمرة الثانية وكلف بالقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر وكل أشكال التمرد بمنطقة القطاع الوهراني، وذلك بهدف إتمام الغزو الكامل للجزائر وإحلال السلام حسب وجهة نظره من أجل تدعيم الاحتلال بواسطة المعمرين وتحويل جنوده إلى مزارعين، حسب ما ذكر ذلك أمام البرلمان الفرنسي سنة 1840 بأن الاستيطان هو الضمان الوحيد للاحتلال ويخلص الجيش من الأعباء الثقيلة، وقال أيضا في جلسة أخرى لبرلمان بلاده في شهر يناير1845:"إذا أردتم التخفيض من عدد الجيش، فعليكم إيجاد قوة دعم دائمة إلى جانب الممتلكات المسيطر عليها ..." [10].

يجعلنا ذلك نعتقد أن الحاكم العام الجديد كان يحلم إلى تحويل الجزائر إلى مستوطنة فرنسية مفضلة، مركزا مشاريعه على الاستيطان الفلاحي باعتباره مزارعا سابقا، وأراد تطبيق ذلك على جنوده مستلهما أفكاره من الماضي التاريخي لشمال إفريقيا في العهد الروماني الذي استوطن هذه الأرض بواسطة جنوده القدماء[11].

ومن هذا المنطلق فالعمليات العسكرية التي كان يقودها هذا العسكري السفاح، اتسمت بالبربرية وسفك الدماء وإبادة المجموعة السكانية بكاملها وحرق بيوتها ومحاصيلها الزراعية وألزم قادته العسكريين الأخرين باقتدائه وحرق جميع القبائل التي تثور في وجه فرنسا.

هذه التصرفات البربرية في حق الجزائريين،كانت مناطق الظهرة في شرق مستغانم مسرحا لها، بحجة القضاء على تمرد سكان هذه الجهة على السيادة الفرنسية ووقوفها إلى جانب مقاومة الشريف بومعزة، أحد أبطال المقاومة الجزائرية الذي وقف إلى جانب الأمير عبد القادر.

2– مقاومة الجزائريين للغزو الاستعماري بالمنطقة: يتناول مصدر حوليات الجزائر للمؤرخ بليسيي[12] المعاصر للأحداث الجارية في الجزائر على إثر الاحتلال الفرنسي للجزائر متتبعا إياها من خلال شهادات الجنود وضباط الحملات الفرنسية والأرشيف الحربي للجيش الفرنسي، موضحا حيثيات الغزو الفرنسي ومقاومة السكان الجزائريين له، معتبرا أن بقاء سكان الظهرة موالين للأمير عبد القادر هو الذي جلب لهم انتقام بيجو وقادته العسكريين الذين حاولوا استخدام جميع الوسائل لإخضاع هذه المنطقة للسيادة الفرنسية.

وتبدأ هذه المعاناة بتجدد المقاومة بمنطقة الظهرة من أرنيوفيل (الشلف)إلى مستغانم بقيادة أحد المرابطين الشريف محمد ابن عبد الله الملقب بأبو معزة، وبسبب الحشود الفرنسية المتمركزة في المنطقة بقيادة "سانت أرنو"لجأ بومعزة نحو الونشريس من أجل حث القبائل على الجهاد ومقاومة المسحيين حسب ما جاء في تقارير للجيش الفرنسي، وقامت المجلة الإفريقية بإصدار دراسة مطولة حول الموضوع مستندة إلى مصادر الأرشيف التاريخي لوزارة الدفاع الفرنسية[13].

وينتمي الشريف بومعزة إلى إحدى الطرق الصوفية المعروفة بالدرقاوية المنتسبة لمولاي الطيب الذي كان من مهامه إيقاظ الهمم لمحاربة الكفار، وهي في نظر المصادر الفرنسية المختلفة حركات دينية متشددة ومتعصبة أثرت على سكان منطقة الظهرة وكانت تحثهم على الجهاد[14] وكانت متمركزة بمنطقة بني زروال بالمغرب الأقصى، وسبق أن رحل أفراد من هذه القبيلة إلى شرق مستغانم والمعروفة ببني زروال شرق مدينة سدي علي حاليا، فانضمت هذه القبيلة إليه، إضافة إلى جمهور الإخوان المريدين لهذه الطريقة [15] وحسب نفس المصدر فإن بومعزة كان يمكث عند أولاد يونس بمنطقة الظهرة وأعلن الجهاد ضد الفرنسيين وأنه مولاي الساعة والمهدي المنتظر، فقام بعمليات حربية ضد خصوم المقاومة والموالون للجيش الفرنسي بتصفيته للحاج صادوق قايد مديونة وبلقاسم شيخ قبيلة صبيحية، وقام بتجميع عدد غفير من الرجال ما بين 500 إلى 600 فرد وهاجم مدينة الشلف فاصطدم بالعقيد "سانت أرنو" بعين "مران" الواقعة بالظهرة غرب الشلف يوم 14 أفريل 1845، وحسب حوليات "بليسي"[16] فإن بومعزة

انهزم ولجأ إلى عمق جبال هذه المنطقة مختفيا عن أنظار القائد الفرنسي الذي كان يتتبعه، وفي نفس الوقت حاولت القيادة العسكرية الفرنسية القضاء على هذه الثورة في المهد فدعمت قوافلها العسكرية بكتائب للجنرال بورجولي السابق ذكره الأتي من مستغانم وكذلك الكوموندار (الرائد)كان روبارت Canrobert وارتكب الجيش الفرنسي في طريقه إلى معاقل المقاومة جرائم حرب في حق القبائل مثل قتله ل15 فرد من إحدى القبائل رميا بالرصاص [17].

وثارت من جديد بعض قبائل المنطقة على الفرنسيين أمثال أولاد يونس وبني هني وعابد وبني هيجة وانظمت إلى المقاومة وانقضت على قوافل الفرنسيين، فلم يتمكن الكوموندار "كان روبارت" من صد هذه الهجمات، ولكنه تلقى المساعدة من العقيد سانت أرنو الأتي من تنس، فقام بتخريب المنطقة ودخل من جديد إلى تراب "بني هيجة" ونزع سلاح هذه القبيلة التي قبلت السلام.

وعندما اشتدت المقاومة تدخل الحاكم العام الماريشال "بيجو" بإنقاذ قادته العسكريين، فأرسل الفيلق 64 لرد بومعزة عن مسعاه، ولكن مقاومة بومعزة اشتدت وتدعمت بأنصار مولاي الساعة ومخلص المسلمين من الكفار، فنزل بيجو بنفسه إلى أرض المعركة يوم 09 مايو سنة 1845 بالونشريس لمؤازرة قادته العسكريين، حيث أن جل القبائل الجزائرية قد حملت السلاح ووقفت مع المقاومة، وهو ما يدل في نظرنا إلى الهلع والخوف الذي انتاب بيجو وجعله يستخدم الأساليب الخسيسة للقضاء على هذه المقاومة .

وتمكنت الجيوش الفرنسية بقيادة بعض القادة العسكريين أمثال بورجولي وروفو Reveu إلى إخماد لهيب الثورة بالونشريس وإعادة المنطقة إلى السيطرة الفرنسية، وكانت أهم المعارك التي خاضها بومعزة بالمنطقة تمثلت في معركة "دفلتان" وهي إحدى فرق بني "أوراغ" بعمي موسى، فنزع سلاحهم[18] عندئذ اتجه بومعزة نحو أولاد يونس لتشتعل المقاومة من جديد في منطقة الظهرة.

تلقى الشاب بومعزة الدعم الكامل من قبيلة أولاد رياح حيث تمكن وبفضلها من هزم قبيلة سنجاس العميلة والموالية للفرنسيين كما تمكن في نفس الوقت من القضاء على الآغا الذي نصبته الإدارة العسكرية الفرنسية على المنطقة جزاء لما قدمه من خدمات جليلة لها في أوقات سابقة، وعرف الشاب بومعزة كيف يوسع من رقعة انتفاضته الشعبية مما اقلق كثيرا الجنرال بيجو إلى درجة أنه قرر وضع إستراتجية خاصة بهدف القضاء عليها فبعث خمس قوافل عسكرية

إلى المنطقة لتوزع عند وصولها عبر مختلف مناطق الظهرة لمحاصرتها وتوجيهها بالدرجة الأولى خاصة إلى تلك المناطق التي امتدت إليها نار المقاومة، ولإنجاح خطته استنجد بكل من الجنرال "آبوفيل" قائد قافلة سطيف والجنرال "ماري" قائد قافلة المدية أما القوافل الثلاثة فهي تلك القوافل التي كانت متمركزة بمنطقة " شلف، حيث كان يقودها كل من الكولونيل "لادميرو" و"سانت آرنو" إلى جانب الكولونيل "بيليسي" وبهذا الحشد الكبير يكون الجنرال بيجو قد جند خمس قوافل عسكرية ضخمة للقضاء على مقاومة بومعزة الشعبية[19].

وعندا تأكد الماريشال بيجو، أن جل الانتفاضات قد خمدت عاد إلى الجزائر العاصمة وترك إكمال بقية المهمة لنائب قائد أركانه العقيد بليسي لإكمال احتلال منطقة الظهرة المجاهدة، حيث ارتبط اسم هذا القائد العسكري بمحرقة غار الفراشيح بقبيلة أولاد رياح، فقام الكولونيل بيليسي على رأس قافلة عسكرية ضخمة تتحرك بخطى ثابتة حيث كانت متكونة من 4000 عسكري مدعمة ب 200 ڤومي (وهي عبارة عن مجموعات من أهالي المنطقة التي جعلت منها القوات الفرنسية قوات إضافية أو تابعة لها تسخرها عند كل معركة مع بني جلدتها مقابل أموال أو امتيازات) حيث وجهت هذه القوة العسكرية الكبيرة إلى المنطقة التي يقطنها أولاد رياح بهدف اخضاعها وقهرها ومن ثمة نزع سلاحها، وعند وصول بليسي إلى تراب أولاد رياح، وجد هؤلاء الجبليين غير متحمسين لنزع أسلحتهم والاستسلام للفرنسيين، وبذلك تبدأ مأساة هذه القبيلة مع بليسي وفرقته العسكرية المجرمة.

3 – محرقة غار الفراشيح حسب المصادر الفرنسية:

أ- وصف جغرافي لمنطقة الظهرة ومغارة الفراشيح: تقع منطقة الظهرة التابعة لعمالة وهران في أقصى الحدود الشرقية الشمالية للعمالة ما بين البحر الأبيض المتوسط ونهر الشليف وعمالة الجزائر، وهي عبارة عن ظهر يقع شمال الجزائر وتشمل المناطق الشرقية لدائرة مستغانم المتكونة من البلديات الآتية[20]:

– البلدية المختلطة لكساني (سيدي علي حاليا) وهي بدورها تتكون من بلديات استيطانية وواوير بلدية مثل وليس (عبد الملك رمضان) ولاباسي (سيدي لخضر) وبوتي بور (الميناء الصغير) وعشعاشة والنقمارية ومزيلة والشواشي وأولاد مع الله ودوار تزقايت ...

– البلدية الكاملة الصلاحيات بوسكي (حجاج)

– البلدية الكاملة الصلاحيات بون دو شليف (سدي بلعطار)

- أجزاء من البلدية المختلطة ليلل والبلدية المختلطة لمينا (بالقرب من غليزان)

وهي ذات مساحة معتبرة أنذاك قدرت بـ107 ألاف و574 هكتار، وهي ذات تضاريس معقدة مرتفعة عن سطح البحر أكثر من 500 متر في معظم مناطقها الجبلية، أمثال جبل الشيخ بـ533م، وجبل تزقايت بـ547م، وكودية بو هني بـ562م، وجبل سيدي عامر بـ657م وجبل سدي سليمان ب ب683م[21].

وبها أودية عديدة، فمنها الطويلة كواد الشليف الذي ينبع من الونشريس ويصب بالبحر المتوسط ووادي الخميس الذي ينبع من منطقة الخميس ويصب في البحر شرق العمالة وأودية قصيرة ساحلية أمثال واد وليس وواد العبيد وسيدي موسى وواد سداوة ووواد الرمان وواد زريفة...

ولذلك فهي منطقة استراتيجية انتقالية ما بين عمالتي وهران والجزائر كانت من نصيب دولة الأمير عبد القادر التي تم الاتفاق بشأنها خلال معاهدة التافنة لسنة 1837 بين الأمير عبد القادر وبيجو، فحاولت فرنسا في عهد الحاكم العام بيجو التلكؤ وعدم احترام بنود هذه المعاهدة والانقضاض عليه مما جعل بيجو يستخدم جميع الوسائل للسيطرة عليها، فكانت محرقة غار الفراشيح بالنقمارية موعدا مع جرائم "الجيش الإفريقي" بقيادة بليسيي أحد الضباط المنفذين لخطة هذا الحاكم العام[22]

إن هذه المغارات تقع في أقصى شرق شمال منطقة الظهرة على الحدود الغربية لعمالة الجزائر ما بين واد زريفة ووادي "الرمان"وهذه المغارة التي تمتد على طول 200 م وهي محفورة في مادة الجير وتتميز بظلام دامس والرطوبة كبيرة على ارتفاع 84 مترا عن البحر وتبعد عنه بحوالي 14 كلم وعن بلدية النقمارية بحوالي 2000 م. وتكسو مداخلها غابات العرعار وهي تقع أيضا محاذية للمثلث المشكل من تنس وشرشال وملیانة وكانت تسمى عند السكان الجزائريين بجزائر الظهرة أو القنطرة وقام الواد بحفر مغارات واسعة لتزداد ضيقا نحو الجنوب الغربي حيث ينفتح الدخل الرئيسي للمغارة على واد ضيق وتوجد بها مداخل أخرى جد ضيقة بالشمال الشرقي بالقرب من واد زريفة وبالتالي فغار الفراشيح عبارة عن محمية طبيعية كان يلجأ لها سكان المنطقة أيام الخطر خلال الفترة العثمانية[23].

وقد وضع لنا المؤرخ الجزائري محفوظ قداش رسما تخطيطيا للمغارة موضحا معالمها وحدودها مقارنا إياها بمغارة سبيحة بالشلف التي ارتكب فيها كافينياك جريمة مشابهة [24].

ب – الظروف العامة التي أحاطت بارتكاب هذه الجريمة: إن تصفحنا لبعض المصادر الفرنسية التي تحدثت عن محرقة غار الفراشيح قد وردت في عدة مصادر فرنسية[25]، عند بليسيي المؤرخ والكاتب "ماران" والكاتب كورسيرانت وأيضا دراسة هامة وردت في المجلة الإفريقية لسنة 1907م، وقد استندت على المصادر الأصلية الموجودة بالأرشيف التاريخي لوزارة الحرب الفرنسية، قد سادتنا على معرفة الظروف العامة التي حصلت فيها هذه المذبحة المباشرة أمام أعين السكان الجزائريين وجنود الجيش الافريقي وهم يرون ارتكاب جريمة استعمارية على المباشر بحرق قبيلة بأكملها.

ولهذه الغاية فأرشيف مجموعة "فودوارد" vaudouard يحتوي على تقارير متبادلة بين بليسيي و"بيجو" وبين الحاكم العام ووزير الحربية سولت Soult وشهادات بليسيي وبعض ضباطه وجنوده على الظروف العامة التي واكبت هذه المحرقة، وهي متمثلة في خمسة وثائق كالآتي[26]:

– التقارير الرسمية للعقيد بليسيي قائد الفرقة المهاجمة والمحاصرة لقبيلة أولاد رياح المرسلة للماريشال "بيجو" مؤرخة بتاريخ 22 جوان 1845.

– رسالة من العقيد بليسيي إلى العقيد "سانت أرنو" الذي ساعده في عملية الظهرة كتبت بتاريخ 20 جوان 1845 تحتوي على معلومات دقيقة وهامة عن المحرقة.

– رسالة ضابط إسباني مكلف بالفرقة المهاجمة مرسلة إلى جريدة إسبانية "هيرالدو hiraldo وهي موجودة أيضا في مؤلف كريستيان christan, L'Afrique française, 1845 p 43م، وهي وثيقة تعارض لما ذكره بليسيي في بعض تفاصيل الحادثة.

– رسالة جندي ضمن الفرقة المهاجمة نشر بالمصدر السابق إفريقيا الفرنسية لـ1845 تناول فيها ما رآه بعينيه.

– وثيقة عن الحادثة كتبت بعد فترة في سنة 1857 بيد بليسيي على شكل مسودة يعترف فيها بهذه الجريمة النكراء.

هذه الوثائق تقدم لنا صورة متكاملة عن الظروف العامة التي جرت فيها محرقة غار الفراشيح وتوضح لنا دوافع وأسباب الجيش الافريقي الاستعماري في ارتكابه لهذه الفعلة غير الانسانية بحق سكان مدنيين لجئوا إلى مغارة، اعتقدوا من خلالها أنها ستحميهم من غطرسة بليسيي.

ويمكننا استنطاق التقرير الذي كتبه بليسيي عن هذه المأساة يوم 22 جوان 1845 وأرسله إلى المارشال "بيجو"، يخبره فيه بتحرك قواته نحو أولاد رياح من خلال فحوى الرسالة التي بعثها له قبل المحرقة بتاريخ 16 جوان 1845 والتي جاء فيها :"وضعت قوايّ بواد بلعامرية بأولاد رياح، ووضعت قدمي فوق مرتفعاتهم و قمت بحصار جميع المناطق وقمت بإبادتها بعد تفتيشها من قبل رجال المخزن..."[27] ويضيف التقرير واصفا الظروف التي تمت فيها هذه المحرقة، بأن أولاد رياح كانوا على فرعين، فرع موجود على يمين الواد و الفرع اللآخر موجود على يساره، ولم يتفاهم الفرعين على الخضوع لجيش بليسيي، وأصر الفرع الموجود على يسار الواد على عدم الاستسلام للفرنسيين حسب هذا التقرير [28].

يقدم لنا هذا التقرير إضافات عن عمق الجريمة بأن قوات بليسيي قامت بحرق مداشر أولاد بلعامرية المؤيدون للشريف بومعزة، وأن بليسيي تقدم بقوافله نحو هذه القبائل المتمردة حسب المفهوم الاستعماري مبررا ذلك بأن بعض الثوار أرادوا مهاجمة جيشه، ولذلك أسرع لمحاصرة هذه المنطقة بواسطة ضباطه، ومنهم النقيب موراند، أما العقيد رونو Renanlt، فتركه في خلفه لحماية قوافله العسكرية من هجومات محتملة للشريف بومعزة، ويعترف بليسيي في هذا التقرير بأنه تعرف على المنطقة التي لجأ إليها أولاد رياح بواسطة مساعديه من بعض الأهالي الموالون لفرنسا، ومنهم "الحاج الخاين" وأرسل بعض ضباطه أبرزهم النقيب "راولت Raoult للتأكد من الموقع[9]، ومن خلال هذه المعطيات تعرف بليسيي على غار الفراشيح والقوم الموجودين به، فوضع فرقة عسكرية لمراقبة المنطقة وحصارها .

تدل هذه الاعترافات بأن بليسيي قد ارتكب الجريمة بكل قواه العقلية وأنه لم يتعرض لخطر كبير من هذه القبائل يجعله ينتقم منها، بدليل هروبها وفزعها من الجيش الإفريقي الذي اشتهر بإبادة كل منطقة يمر بها.

لذلك وضع الكولونيل بيليسيي نصب أعينه الوصية التي تركها له الجنرال بيجو ولبقية الضباط الفرنسيين ذات يوم 11 جوان 1845 عندما كانوا يتهيئون للرحيل انطلاقا من مدينة "أورليان فيل" (الشلف حاليا) حيث قال لهم: "في حال رفض هؤلاء السراق الخروج من المغارات لكم أن تفعلوا ما فعله "كافينياك" الذي تجرأ ودون تردد على حرق قبيلة سبيحا، لهذا يستوجب عليكم أنتم كذلك حرق هؤلاء كالذئاب".

ج–وصف أحداث محرقة غار الفراشيح: عندما انطلقت القوافل العسكرية السابقة الذكر وخرجت من ثكنتها، تحركت وحدة استطلاعية يوم 17 جوان من ثكناتها بمدينة الشلف حيث جابت الجهة اليسرى من وادي جراح وراحت تقطع كل أشجار التين كما تعمدت حرق المنازل والمحاصيل الزراعية وإبادة قبيلة بني زنطيس، عندئذ أدركت قبيلة أولاد رياح، بأنه لا ما فر من مواجهة هذه القوات، ولكنها لم تتمكن من رد هذا الهجوم. فتراجعت على إثرها المهاجمون من أولاد رياح رافضين الاستسلام للجيش الفرنسي واختاروا الاختباء داخل مغارة محاذية لوادي "الفراشيح" حاملين معهم أسلحتهم وأمتعتهم ومؤنهم وحيواناتهم بعد ما فشل ثوار أولاد رياح من إقناع الجيش الفرنسي من الانسحاب والتراجع يوم 17 جوان 1845م[30].

واللجوء إلى هذه المغارة التي تعود سكان أولاد رياح الهروب إليها، حيث كانت عبارة عن ملجأ لحمايتهم من تسلط الجيش العثماني حينما كان يطل عليهم في موسم الحصاد لأخذ محاصيلهم الزراعية، كما كان يجمع الضرائب المفروضة عليهم، إضافة إلى إرغامهم على مد الإتاوات طواعية مستخدما سياسة السلب والنهب، ولكنها لم تصل إلى جزء يسير مما ارتكبه بليسيي في حق أولاد رياح، وهناك اعتقاد أخر كان يدفع أولاد رياح الهروب إلى المغارة متمثلا في تلك المعتقدات التي كانت سائدة آنذاك والتي تقوم على خرافة أن هذه المغارة تعد بمثابة البرج الحصين الذي يبعد الأخطار عن من بداخله لارتفاعها عن البحر ب 84م من جهة وأنها مكسوة بأشجار العرعار من جهة أخرى إضافة لعامل آخر مرتبط ببعض الاعتقادات الدينية السائدة آنذاك والمتمثلة في قدسية هذا المكان ،بأن أحد الرجال الصالحين يحميه ببركاته ولكنهم لم يتصوروا أبدا الحقد والكراهية التي كان يحملها الغزاة لهم، وعلى "رأسهم السفاح بليسيي".

وتتفق جميع المصادر التي اطلعنا عليها على المسؤولية الكاملة لهذه المأساة لجيش بليسيي، حيث تعود وقائعها مثل ما أسلفا إلى لجوء أفراد هذه القبيلة إلى هذه المغارات لاتقاء شر غطرسة القوات الفرنسية المهاجمة، وأن بليسيي حرص على غلق جميع المنافذ وقطع المفاوضات وعدم الاستماع لبعض الوجهاء والقياد الذين طالبوا منه التريث أمثال خليفة العرب "لعربي" وقايد زريفة، حينما خيرت هذه القبيلة بين الاستسلام أو الموت حرقا[31] يوم 18 جوان 1845، فقام بإعطاء أوامر للفرقة المحاصرة بسد منافذ هذه المغارة بالحطب والتبن وقش الأشجار المتناثرة، حيث وجد الجناة أنفسهم مع صعوبة اشتعال هذا الحطب إلا بعد هبوب رياح قوية

ساعدت لهيب الحرائق النفاذ إلى داخل هذه المغارة، لتبدأ جريمة هيليكوست(المحرقة) ضد سكان مدنيين رافضو الخنوع لها المستعمر. ولم يستجب بليسيي لمطالب المفاوضين من داخل المغارة بالابتعاد وأن يضمن لهم الأمان بعدم أخذهم إلى سجن مستغانم المرعب مساء يوم 19 جوان1845،[32] أمهلهم ربع ساعة فقط، وإلا كانت لعنة الموت تلاحقهم، فاختار أبطال ومجاهدو أولاد رياح عدم الاستسلام والموت خنقا بغازات دخان المحرقة.

د– حصيلة ثقيلة: أصر بليسيي على إبادة هذه القبيلة بكل أفرادها من رجال ونساء وأطفال وشيوخ، عندما أغلق باب التفاوض، وأمر بإشعال المزيد من النار صبيحة يوم 19 جوان ليستمر الحريق لأكثر من 18 ساعة بدون توقف باستثناء بعض فترات التفاوض، والتي انتهى منها بليسي بربع ساعة الأخير، وكان له ما أراد لتبقى وصمة عار في جبين فرنسا الاستعمارية إلى الأبد، وظل الحريق يشتعل ليلة 19 جوان إلى صبيحة يوم 20 جوان، وسمع دوي الانفجارات وخروج دخان كثيف من المغارة بسبب أسلحة الثوار وأمتعة السكان حسب اعترافات بليسيي.

عندئذ أدرك السفاح بليسيي أنه انتهى من حرق افراد هذه القبيلة وأنها غير قادرة على المقاومة ورد عدوانه، فأعطى الأوامر للفرقة المحاصرة، لتتفقد ما بداخل المغارة [33] وفي الصباح وبعد إخماد لهيب الحرائق، يتحدث التقرير الرسمي المرسل للحكومة الفرنسية بوجود 500 جثة مفحمة و50 أحياء توفى منهم الأغلبية. ولكن روايات شهود آخرين تذهب إلى أكثر من هذا العدد ليفوق ألف ضحية جراء تفحم العديد من الجثث وعدم وجود إحصائيات دقيقة لعدد هذه القبيلة التي دخلت إلى المغارة[34].

وقد وردت عدّة شهادات حول هذه المحرقة، منها شهادة أحد الضباط من أصل إسباني يقول فيها عن شهادته للحادثة في رسالة بعث بها إلى الجريدة "المدريلانية هيرالدو Le Madrilène Héraldo "... إن النار أبت في البداية أن تشتعل بسبب المياه التي كانت تغمر مدخل المغارة وفي حدود الساعة الواحدة مساء يواصل قائلا بدأنا برمي أمام المدخلين حزم أخرى من الحطب، حينها اشتعلت النيران ومن الصدف يقول أن بدأت الرياح تنقل الدخان إلى داخل المغارة ... مما كان يسمح للعساكر بدفع الحزم من الحطب إلى داخل فتحاتها تماما كما يحدث بداخل الفرن " [35].

في نفس السياق وجه أحد الجنود الفرنسيين رسالة إلى عائلته يقول فيها بالنسبة لهذه الليلة المشئومة على أنه ".... أبقيت النار مشتعلة خلال طول الليل... وعلى ضوء ألسنتها كنا نشاهد الوحدة العسكرية التي كانت مكلفة بالحفاظ عليها، كنا نسمع صيحات الرجال والنساء والحيوانات وكذا تصدع وتكسر الصخور المتفحمة التي كانت تسقط داخل المغارة بفعل ارتفاع درجة الحرارة ... [36]"

وحاول بليسيي تبرئة نفسه من هذه التهم، بأنه لم يكن ينوي القضاء على القبائل المناوئة وإنما فرض إرادة فرنسا وإخضاع الجزائريين للسيادة الفرنسية.

ولكنها في نظرنا جريمة في حق الإنسانية، يعاقب عليها القانون الدولي ولا يمكن لها ان تموت بالتقادم وبإمكان أحفاد الضحايا رفع هذه القضية إلى محكمة الجنايات لتحميل فرنسا الاستعمارية والإقرار بجرائمها، وهو موضوع متروك للجهات القضائية الوصية.

هـ- مواقف الرأي العام الفرنسي والدولي من هذه المحرقة: حسب العديد من المصادر التي عايشت الحدث، أنها أكدت هذه الجريمة وأن صداها وصل الحكومة الفرنسية والبرلمان الفرنسي، وذكر بليسيي[37] أن هذا الحادث المأسوي قد أثر بشكل قاسي على كل فرنسا وأوربا، ويعتقد نفس لمؤرخ، أن هذه الحادثة في نهاية الأمر حادث حربي فقط، وأن الحرب آفة تصيب الإنسانية، وأن هناك أحداث مشابهة وقعت بإيطاليا وبالتالي فهو يبرر أعمال العقيد بليسيي، وقدم هذا الكاتب نصحا لبليسيي بعد فوات الأوان، بأنه كان عليه أن يحاصر هذه القبيلة ويقطع عنها الغذاء والمؤونه لكي تستسلم، ولكن الإشكالية في اعتقادنا ليست الحصار بالجوع أو الحرق، وإنما سياسة البطش وجرائم الجيش الإفريقي والمحارق التي ارتكبها "كافينياك" و"بيجو" في حق القبائل المقاومة، هي التي دفعت بهذه القبيلة إلى عدم الاستسلام لبليسيي.

ورغم السرية التي أحاطت مراسلات بليسيي وبيجو، فإنها وصلت إل الصحافة المحلية كجريدة الأخبار الصادرة عن الحكومة العامة في الجزائر وأيضا جريد لو كوريي Courier وأيضا نشرية الجيش المعروفة "بالمونيتار الدولي" حيث لم تخف هذه الجرائد عن قرائها لهول هذه الجريمة المرتكبة وقد كتبت جريدة المونتار الفرنسية خطابا لأمير موسكوفا للبرلمان الفرنسي بتاريخ 11 جويلية 1845يعلمه فيه بأن جريدة الأخبار الصادرة بالجزائر كتبت مقالا عن محرقة الفراشيش، وأن عقيدا في الجيش الفرنسي اتهم بجريمة، قد ارتكبها في حق جزائريين مسجونين

أو محاصرين وهو عمل غير مبرر، موضحة بأنه طالب من الحكومة توضيحات حول الحادثة، ودخلت غرفة النواب الفرنسيين في مناقشات ساخنة حول هذه المسألة [38].

ونقلت الصحافة الفرنسية مداولات ومناقشات هذه المأساة والمسآلات التي وجهت لوزير الحربية آنذاك "سولت" Soult، وفي نفس الوقت دارت مراسلات بين الحاكم العام "بيجو" ووزير الحربية السابق ذكره حول هذا الموضوع، وذكر هذا الأخير لبيجو في رسالة له بتاريخ 29 من شهر جويلية 1845، بأن "بليسيي وضعه في موقف حرج ومربك أمام الحكومة والبرلمان، وفي رده على استفسارات نواب البرلمان دافع هذا الوزير عن الجيش الافريقي وقادته العسكريين بقوله لو كان مكانهم لفعل نفس الشيء بسبب ما تعرض له هذا الجيش من أعمال من قبل العرب ما بين سنتي 1842 و1844م، وهو يقصد بذلك مقاومة الأمير عبد القادر ووقوف قبائل الظهرة إلى جانبه، مما أدى إلى إزعاج هذا الجيش الذي اضطر إلى ارتكاب هذه الجريمة بفعل الانتقام من هؤلاء العرب، وذلك لكي يطمئن النواب المحتجين على هذه التصرفات[39].

ونعتبر هذه المناقشات في نظرنا مسرحية سياسية لامتصاص مواقف الرأي الفرنسي والدولي المنتقدة لهذه الجريمة، وخاصة أن فرنسا لم تكن بعيدة تاريخيا عن ثورتها التي كانت تمجد حقوق الانسان وترفض الاستبداد، مما أوجد موقفا معارضا من قبل السياسيين والكتاب والمدافعين عن حقوق الإنسان وواصلت الصحافة الفرنسية أمثال كوريي دو فرانس ودي موكراتيك باسفيك démocratique Pacifique نشر مقالات عنيفة اتجاه هذه الجريمة ووصفت أعمال بليسيي بالنموذج الكافينياكي المعروف بجرائمه الإبادية في حق السكان المسلمين، وهي في نظرها أعمال تخل بالتاريخ العسكري لفرنسا وتنقص من هيبة العلم الفرنسي

ولكن الغريب في الأمر أن بيجو لم يتوان في الدفاع عن نائب قائد أركانه، ودافع عنه أمام استفسارات الحكومة ووزير حربيته[40]، ولكن بليسيي من جهة أخرى في تقريره المرسل إلى المارشال بيجو بتاريخ 22 جوان 1845 يعترف له بتنفيذ أوامره، وهو عمل مشابه لما قام به "كافينياك بقبيلة السبيح.

والدليل على التوافق بين القيادات العسكرية على ارتكاب هذه الجرائم تشابهها في الأسلوب المتمثل في التدمير الكلي للمنازل وحرق للممتلكات والأشخاص أحياءا، دون أية اعتبارات إنسانية ولا مبالاة الصحافة والمناقشات البرلمانية .

وقد كفأته فرنسا الاستعمارية بمهام أخرى، ترقى على إثرها إلى رتبة جنرال وعين حاكما بالنيابة ما بين 23أفريل إلى 10 ديسمبر 1851. وفي 24 نوفمبر 1860 عين حاكما عاما. ومات يوم الأحد 22 ماي 1864 بالجزائر وأطلق اسمه على إحدى بلديات مستغانم المعروفة اليوم بصيادة.

ونعتقد من خلال هذه المصادر الفرنسية التي وردت في تقارير بليسيي وبيجو والقادة العسكريين وكتاب تلك الفترة أو المتأخرين عنها بقليل؛ أنهم أكدوا روايات هذه المأساة أمثال " ماران" الذي نقل عن بليسيي بأن حياة جندي واحد من جنود الجيش الإفريقي أحسن بكثير من10 من هؤلاء البؤساء أو الذين اختبئوا بالمغارة[41].

ولذلك فهذه المصادر رغم أنها أحادية الطرح ولا توجد كتابات معاصرة لها بأقلام جزائرية، إلاّ أنها تعبر عن الطابع الإجرامي والأساليب المتوحشة التي استخدمتها الفرقة المحاصرة لأولاد رياح بغار الفراشيح وتجعلنا نخرج بعدة تأملات عن هذا الفعل الإجرامي لفرنسا الاستعمارية التي كانت تتباهى القيم الحضارية والإنسانية.

4- تأملات حول جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر: لا يمكن لنا نسيان مجزرة أولاد الرياح الرهيبة، فهي ترتبط مباشرة بسلوك الجيش الافريقي الاستعماري بقيادة العقيد "بليسيي" الذي خضع للمسألة أمام البرلمان الفرنسي [42]، ولكن المدافعين عنه اعتبروا ذلك سلوكا عاديا في مثل هذه الحروب، نظرا لتسلط اللوبي الاستيطاني على دواليب اللحكومة الفرنسية، ووجدت نفسها عاجزة عن التوفيق بين إدانة هذه الجريمة وقوة قادتها العسكريين بالشمال الافريقي تحت سلطة المارشال "بيجو" الذي دافع عن هذه الجرائم، ورفعت عنه هذه التهم.

وأن هذه المأساة تعتبر في نظرنا مأساة حقيقية، ذهب ضحيتها ألف شخص وما يزيد عن ذلك، وستظل وصمة عار في جبين الضابط الفرنسي "بليسيي" بشكل خاص والجيش الفرنسي بشكل عام، وذلك بسبب محاولة دفن حقائق هذه الجرائم الاستعمارية المرتكبة بين رفات التقارير وتجاهل المواقف الفرنسية والدولية المنددة آنذاك بهذه المأساة والقيام بترقية هذا الضابط إلى مراتب عسكرية عليا في الجيش الفرنسي إلى حاكم عام[43].

ومن هذا المنطلق فالجريمة الاستعمارية، وقعت في منطقة الظهرة على المباشر أمام شهود تحدثوا عنها وتركوا لنا كتابات موثقة من خلال مشاهدتهم لهذا الحادث المأسوي، إضافة إلى جرائد تلك الفترة، وهي لا تختلف عن تلك الجرائم التي وقعت في بداية الأحداث وتحدث عنا

معاصرون في مذكراتهم وفي شكاويهم للسلطات الاستعمارية آنذاك وهي خير تعبير صادق لاحتجاجات الجزائريين لهذه الجرائم المرتكبة في حقهم ونكران لما تعهدت به فرنسا الاستعمارية للداي حسين "وكشفت للسلطات الفرنسية بباريس عن الفظائع التي قام بها الفرنسيون عند دخولهم الجزائر"[44]، وبعد مرور أكثر من 166 سنة يقوم فريق من الباحثين بجامعة مستغانم بتفقد المكان، حيث كتبت جريدة الفجر الجديد ما يلي[45]: "كلّلت جهود عشرات الباحثين الجزائريين إلى جانب أبناء منطقة الظهرة بمستغانم منذ عقدين بكشف جرائم الاستعمار في غار الفراشيش، بعد أكثر من 166 سنة ظلت فيها محرقة الظهرة مع ما انجر عنها من قتل متعمد لمئات الجزائريين في طي النسيان ولتذكر مقولة الكولونيل الفرنسي بيليسييه الذي قال "حياة فرنسي واحد تساوي حياة جميع هؤلاء البؤساء في إشارة إلى الجزائريين الذين قضوا في الجريمة، ما يعيد إلى الواجهة المطالب التي تدعو إلى اعتراف فرنسا بجرائمها ضد الإنسانية في الجزائر".

وها هم الباحثون الجزائريون ينقبون ويكتبون حول جرائم الاستعمار منذ الاحتلال إلى غاية الثورة التحريرية الكبرى ليكشفوا لنا في بحوثهم حقيقة هذا الاستعمار، الذي لم تتغير أساليبه منذ محرقة أولاد ريح إلى قيامه بالاعتقالات الجماعية والإبادة الجماعية في حق السكان الجزائريين، لأنهم وقفوا مع الثوار ضد إرادة الاحتلال مثل ما ذكر ذلك الباحث "بلغيث محمد عند تناوله لجرائم الاستعمار الفرنسي[46].

وكذلك يعتبر الاستعمار في حد ذاته جريمة ضد الإنسانية، ولا يسعنا في نهاية هذا الموضوع، إلا التوقف عند هذه المحطات المؤلمة في تاريخنا الوطني وتذكر تلك الجرائم البشعة التي ارتكبت في حق الجزائريين على المباشر بدون عقاب الجناة[47]. وتغاضت فرنسا عن معاقبة أصحاب هذه الجرائم واستحسنت القضاء على شعب بأكمله من أجل نزواتها الاستعمارية.

خلاصة: لا نأبه لمن استهانوا بالجرائم الفرنسية في الجزائر، وأن ما ارتكبه هذا الاستدمار الاستيطاني لا يمكن أن تمحوه الكلمات؛ لأنه من الجرائم التي حفرت في الذاكرة حفرا، وستظل محرقة غار الفراشيح لاصقة بذاكرة الشعب الجزائري، لكي لا تتكرر هذه المآسي مرّة أخرى وسيظل الجزائريون يتفكرون ضحاياهم من أجل عدم نسيان تاريخهم الذي كتب بدماء الشهداء الأبرار، رحمهم الله .

الهوامش:

(1)Arrexy(G),Législation Algérienne, Ed,Pet Sombrions, Alger, 1932, P 136

(2) – عزوي محمد الطاهر، مقارنة بين مقاومة الأمير عبد القادر 1248– 1264 هو 1832– 1847 م، والثورة التحريرية الكبرى 1374– 1382 ه و1954– 1962 م في " أشغال الملتقى الثقافي الوطني "تاقدمت، عاصمة الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، تيارت 1996م ص ص 97– 110.

(3)– بليل محمد، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانعكاساتها على الجزائريين بين 1881–1914م، القطاع الوهراني نموذجا مذكرة ماجستير، جامعة وهران ،2006م ص 8.

(4)– قداش محفوظ، جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830–1954، مترجم من الفرنسية، 2008، منشورات أناب ص ص 127–132.

(5) (Shat) Service Historique de L'Armée de terre Vincennes, Cartons ,N° H208 et 209, journal, du brigade de L'Armée de L'Afrique sous le Commandement du Chef d'état major , le

Colonel Pélissier

(6) Belhamissi (M),Histoire de Mostaganem, des origines a nos jours SNED, Alger 2eme Ed 1982, pp 113- 114

(7) Abad(L) ,Mostaganem de ma jeunesse 1935 – 1962 ed n Jacques gandini, Nice S.d p6 Benaissa (A), Mostaganem et Sa Willaya dans l'histoire, S.D p 22

(8)Shat, Carton H 209, op cit

(9)Esquer(G), « les Débuts de Yusuf a L'Armée d'Afrique d'Après les documents inédit ; 1830 – 1938)In Revue Africaine ; V 54 , Année 1910,Opu pp 225 – 300

(10)Comité de Bujeaud , la colonisation officielle de 1871 a 1895 , société d'éditions géographiques maritimes et coloniales , 1928 préface XI- XIII

(11)(Mairin (C.N),Le Dahra ,Cassaigne , bosquet ,pont de chelif, imprimerie de L'Ain Sefra , Mostaganem 1905, pp 25 – 30

(12)Pélissier(E), Annales d'Algérie ; Livre XXXIX, r ,librerie Bastide, Alger,1854, p 157

(13)Busquet (Raoul), « L'Affaire des grottes du Dahra 19 -20 juin 1845 »in Revue Africaine,V51,année1907,OPUpp116-168

(14)Ibid

(15)Pelissier(E),opcit,pp162163,

(16)ibidp164

(17)Ibidp166

(18)ibidp166

(19)Coursserant (L.E),Une Page glorieuse de livre D'Or de Mostaganem, Année 1848, imprimerie de l'Association ouvrière, Eugene prim , Avril 1892 Mostaganem ,p, 32

(20)Mairin(C.N),opcitpp5–17

(21)Ibidp11

(22)Revue. Africaine, V 51 ,op cit p p ,119-120

(23) – بليل محمد،: "تجربة الأمير عبد القادر في التفاوض مع الفرنسيين،معاهدة التافنة نموذجا لسنة 1837"، ملتقى حول الأمير عبد القادر بسيدي بلعباس ، نوفمبر 2011

(24)Kaddache (Mahfoud), l'Algérie des Algériens, histoire de L'Algérie 1830 - 1950,ed,Rocher,noir,pp73–78
(25)Pélissier (A), op cit pp 167 - 168 et Marin(C.N)op cit pp 45-55 et Courserant (L.e)opcitp112etR.A,opcitpp114-165
(26)R.A,V51opcit,pp118-119
(27)Ibidp145
(28)Ibidp146
(29)ibidpp146–149
(30)Pélissier(E),opcitp167
(31)ibid,pp, 167 – 168
(32)R.A ,V51 , Année1907 op cit,p 121
(33)ibidpp147–148
(34)ibidp122
(35)ibidpp123–124.
(36)ibidp124.
(37)Pélissier(E),opcit ,168.
(38)R.A,opcitp126 et voir Aussi kaddache (M), opcit, pp74–78
(39)ibid p 129
(40)ibidpp130–137.
(41)Marin (C.N),op cit p 45.
(42)Kaddache(M),op cit p 77.
(43)Boualem(nedjadi), les tortionnaires de 1830 – 1962 , ed , Anep pp 43 -44.

(44)- فتيحة سيفو:"الكتابات الاحتجاجية ضد الهيمنة الاستعمارية الفرنسية (1830 – 1914)"، مجلة عصور العدد 10، جوان - ديسمبر 2010، صص 55 – 66

(45)- جريدة الفجر 2011.06.21

(46)- محمد بلغيث:"موقف المثقفين الفرنسيين من التعذيب والسجون والمحتشدات أثناء الثورة الجزائرية"، مجلة مصادر، العدد الخامس، 2001، صص 213 – 116

(47)- بشير وبعزة:"الاستعمار جريمة ضد الإنسانية، وجريمة حرب"، محاضرة حول الندوة الوطنية الأولى حول جرائم الاستعمار يوم 1997/05/13، نقلا عن مجلة مصادر العدد الثالث ص11 .